

عائد من الظلام

بقلم / أعلام النصر

قِصَّةٌ مَثَلُ لَوَاحِدَةٍ مِنْ جَرَائِمِ الصَّليبِ



عائد من الظلام!

- الحلقة السابعة -

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قصة:

عائد من الظلام!

- الحلقة السابعة -

#بقلم: #أحلام-النصر

(قصة مثل لواحدة من جرائم الصليب)

#قناة-مؤسسة-أوار-الحق



حدّق "مارك" في عيني "مادو" المستلقي، صامتاً بصبر حاثاً له على الكلام؛ فقد حزم أمره على أن يكلمه بهدوء، ويفهمه مدى جدية الموقف ودقّته وحرجه؛ إذ إنه لن يقبل بالخسارة أبداً، لا أمام "ألفرد" ولا غيره، ولن يسمح لما يعتبره شيئاً خاصاً تافهاً أن ينسف جهوده ويبدّد أمانيه، وهو ذا أمام فراش "مادو" ضابطاً أعصابه وهو يصغي إلى حكايته المملة عن الكابوس المتكرر، ويحاول جهده أن يصرفه عن الاهتمام به.

كان "مادو" خائفاً، يعلو صدره ويهبط، وقلبه يدق كطبل مجنون، وازدرد ريقه بصعوبة، ثم اعتدل في فراشه، ونظر إلى أستاذه ثم قال بوجل:

- أنا حقاً لا أعرف ما خطب تلك المرأة الباكية يا سيدي! إنها تنادي شخصاً آخر، ولكنها تنظر إلي أنا بالذات! لا أفهم.. هل تريدني أن أوصل لذلك الشخص رسالة ما؟ أم أنها تريد أن أصبح مجنوناً وحسب! أنا حقاً لا أفهم!

وسكت سارحاً، وتأمّله "مارك" بغیظ وهو يتنى أن يحطم رأسه، ثم سأله:

- على من كانت تنادي يا "مادو"! إنك لم تخبرني.

استرق "مادو" نظرة خاطفة تجاه القس "مارك" بخوف، وقال:

- "موهامد"! "محمد"! شيء من هذا القبيل!

احمر وجه "مارك"، وفقد صبره للحظة؛ فصرخ:

- "مادو"! يا ولد!! لماذا لا تنظر إلي؟!!!

التفت إليه "مادو" بوجهه خائفاً فزعاً، واقترب منه "مارك" بخطا وثيدة متمهلة، وأمسك بوجه "مادو" بكليتي يديه، وحدق في عينيه بتركيز؛ كأنما كان يبحث فيهما عن شيء ما، وإذ لم يجد فيهما إلا البراءة البلهاء: فقد زفر متنهداً، ثم ابتعد عنه، وولاه ظهره وهو يفكر فيما يتوجب عليه فعله للخلاص من هذه المشكلة التي طالت أكثر من اللازم، بينما قال "مادو" بوهن وصوت مبحوح:

- لقد تعبْتُ من كل هذا يا سيدي!

وأمسك برأسه متألماً، وتابع:

- أنا فعلاً مرهق جداً!

التفت "مارك" نحوه، ونظر إليه مباشرة، وقال بحزم وهدوء:

- إنني أشعر بمعاناتك يا بني!

نظر إليه "مادو" متعجباً من كلامه الغريب عنه وعن أسلوبه المتعجرف، بينما تابع "مارك" بثقة:

- لطالما كنتَ مطيعاً لأوامري، وهذا كان سرَّ نجاحك طيلة السنوات الماضية،
وتفوقك على سائر زملائك، ولاحظ متى بدأتَ معاناتك.. حين عصيتني بالضبط!

وابتسم في وجهه، وتابع بنعومة:

- ما الذي أطلبه منك؟! مجرد طلبة صغيرة، ضغطة لطيفة بريئة على الزناد، صدقني
إن الأمر بسيط، بل وأسهل من حفظ عشرات الصفحات!

وأشار نحوه بسبابته وقال:

- واعلم أن آلامك ستنتهي، وكوايبسك ستغادرك إلى غير رجعة؛ حين تعود إلى
طاعتي، وتطلق تلك الطلقة العزيزة.

وأمسك بكتفه وهمس:

- أترضى أن تخرجني يا "مادو"؟! أليدك من القسوة ما يكفي لتضيع تعبي
وجهدي؟!!

كان "مادو" يخاف من هذا الأسلوب؛ لذلك هتف منتفضاً:

- مستحيل يا سيدي!

استقام "مارك" في وقفته، وتابع بحقد وهدوء:

- بالضبط، إذ سيكون لدي من القسوة أضعاف ذلك للإجهاز عليك إن فشلت!

سدّد "مادو" إلى "مارك" نظرة طويلة، مفعمة بالأسى والتساؤل والخوف، كان فتى متألماً مضطرباً بأشياء، فتى لا يدري لماذا عليه أن يكون مستحقاً لكل هذا العذاب!

وأخيراً.. نكس "مادو" رأسه، وتنهد بعمق، ثم نظر إلى "مارك" وقال بخضوع:

- أرجوك أن تسامحني، لن أخذلك مجدداً يا سيدي!

أخيراً! أخيراً! دقّ ناقوسُ الفرح في قلب "مارك" الشرير، وانفجرت أساريره، وقال:

- هل ستفعلها يا "مادو"؟!

قال "مادو" وهو يحاول التغلب على اضطرابه الداخلي:

- نعم يا سيدي، ما دمت تريدني أن أقوم بذلك فسأقوم به.

وأسند رأسه إلى الوسادة، وقال وهو مغمض العينين:

- أريد أن أستريح من كل هذا.

هتف "مارك" بسعادة:

- ستستريح يا "مادو"! ستستريح! أعدك!

وأمسك بمقبض الباب، ثم قال:

- أيام ويصل مسؤول الكنيسة، أرجو أن تُبليَ بلاء حسنًا يا شيءي الخاص
المفضل!

غمغم "مادو":

- لا تقلق يا سيدي.

(١٦)

- هاتوا دلوًا آخرَ بسرعة!

سارع "ألبرت" و"ستيف" بتلبية أمر القس الغاضب "ألفرد"، وكادا يتعثران وهما
يجلبان الدلو الممتلئ، الذي حالما صار في يد "ألفرد" حتى قذف بما فيه في وجه
السجين "عثمان" الذي كان يتلقى التعذيب المبرح بابتساماته الساخرة التي تستفز
"ألفرد" وتزيده غيظًا، وزمجر هذا الأخير بهستيريا:

- تكلم! تكلم أيها الأحمق تكلم!

وأردف بعنجهية، وهو يلتقط أنفاسه بعد الضرب المحموم:
- على الأقل توسل إليّ!! إنني أعذبك، ألم تلاحظ ذلك؟!!

ابتسم "عثمان" برغم تورم وجهه، وقال بصوت متقطع:
- ولماذا.. تظن أنني.. سأخضع لك؟! ألا أنك تضح.. ربني مثلاً.. أيها الجبان؟!

سأل "الفرد" بذهول:
- لأنني أضربك؟! إنني أضربك وأرسم عليك خرائط التعذيب، وأحرملك من الزاد!! ماذا تريد أكثر؟!

رد "عثمان" ساخرًا:
- هه! يا لها.. من.. أسباب!!

وحدّق في وجه "الفرد" بتحدٍّ وتابع:
- أيها الصليبي القذر! إن جسدي.. رهنُ تعذيبك، هه.. هذا صحيح، لكن روحي.. تسبح في أفق آخر بعيد.. مترع بالنور، لا تستطيع أنت.. من غشاوة عينيك وران قلبك.. حتى أن تتخيله!!! لن.. لن تملك روحي، ولن تبلغ.. مني ما تريد!!

جن جنون "ألفرد"، وانهاى عليه بالضرب الوحشى؁ كان "عثمان" يتجلّد؁ ويتمم:
- ما أعذب الألم.. فى سبيل الله!

وكان "ألفرد" يصرخ:

- من هم زملاؤك؟! أين مكانكم؟! ما هى خططكم الجديدة؟!!

وابتعد عنه قليلاً وهو يلهث من التعب؁ بينما حملق فيه "عثمان" متسائلاً:

- فعلاً والله! ما.. هى الخطط الجديدة؟! لا شك.. أن الكثير.. قد.. قد فاتني!

صرخ "ألفرد":

- أنت أيها الغبي!! لا تستفزني أكثر!!

وسدد له بضع ركلات غاضبة؁ بينما كتم "عثمان" ألمه بتجلّد عجيب؁ وكان يتمم:

- أحد أحد! فى كل ألم.. ثواب لي.. وعقاب لك! يا عابد خائن عيسى عليه
السلام... ما أشدّ غرقك فى الضم... فى الضلال!

وأغمي عليه؁ فهروى "ألبرت" مجدداً بالماء؁ وأشار إليه "ألفرد" ليفرغه فوقه؁ ثم قال:

- لا طعام ولا شراب، والويل لثلاثكم إن سمعتُ صوته بالقرآن.

واستعاد هدوءه، لا سيما وقد رأى "مارك" يدلف إلى الزنزانة، ويحملق في السجين الغائب عن الوعي، وقال "ألفرد" ببرود وثلجية ليغطي على فشله أمام "مارك" الساخر:

- إنه سوف يتكلم في النهاية!!

قال "مارك" متهاكاً:

- ثقتك تدفع للشفقة يا "ألفرد"! لعلك تظنّه أحدَ أشياءك الخاصة!

زجر "ألفرد" بتكبر:

- لا أحد يصمد أمام "ألفرد" أبداً أيها الفاشل!

قهقه "مارك" وقال:

- صحيح أن جسده متهاوٍ، ولكن روحه ما تزال صامدة!

وتابع وهو يرمقه بنظرة ذات معنى:

- سأجرب ما بوسعي!

ولكن "ألفرد" حدجَ الثلاثة "ألبرت" و"ستيف" و"باندري" بنظرات وحشية؛ فأطرقوا مرتجفين، بينما ابتسم "مارك" قائلاً:

- لا بأس! سوف ترى يا رئيس التحقيق!!

فقال "ألفرد":

- ركز على صرصارك واضطرابِ نومه يا "مارك"!

لكن "مارك"، وعلى عكس توقّعات "ألفرد"، ردّد مبتسماً باستمتاع:

- قلت لك: سوف ترى!

حملق فيه "ألفرد" محاولاً الفهم، ثم غادر، بينما قال "مارك":

- والآن جاء دوري! إلي بدلو من الماء!

واذ تلکّ الثلاثة؛ فقد صرخ بعنف:

- لا تتحوّلوا إلى تماثيل أيها البؤساء!!

وصرخ بصوت أعلى:

- فليحضر الدلو اللعين فوراً!! ولا تنسوا عصا الكهرباء!!

فانتفض الثلاثة، وهروا مسرعين لتنفيذ أمره.

في وقت سابق؛ وتحديدًا بعد ليلة الاشتباك..

كان نسيم الليل باردًا عليًا، وقد مرّ بذلك الشاب النائم قسرًا على أرض البقعة الموحشة؛ فربّت عليه بلطف، ثم مضى يداعب أوراق الأشجار، فزوى الشاب بين حاجبيه بألم؛ إذ كان النسيم قد حرك آلام جرحه، وبرغم تيبّس دمه الذي وقف النزيف بإرادة الله تعالى؛ إلا أنه كان ما يزال يشعر بالضعف والألم، وأغمض عينيه وفتحهما مجددًا لتعتادا على الظلام، ثم لاحظ أن الصخرة التي خارت قواه خلفها قد غيبتته عن الأنظار، وأن ضجيج الاشتباك الذي يصم الآذان.. قد صار الآن مجرد صدى في عقله المرهق، وهو ذا المكان خالٍ إلا من حفيف الشجر وصرير الحشرات، وهذا من رحمة الله تعالى به، ولكن..

واتسعت عيناه بقلق وهمس:

- "عثمان!! ترى أين أنت؟!"

انتهت الحلقة السابعة

...يتبع

